

«ممالك النار» يواجه الدراما التركية بتصحيح التاريخ

سليمان عبدالمالك: المسلسل يكشف الجانب المظلم للغزو العثماني



قراءة جديدة للتاريخ



فريق أجنبي للتصوير والملابس والديكور

خلف رابطة فكرية ونوعا من المقارنات مع الهجوم الذي تشنه القوات التركية على الأكراد في سوريا. وما يعطي «ممالك النار» مساحة أكبر من الجدل تزامنه مع اعتماد مجلس النواب الأميركي بأغلبية ساحقة لقرار يقضي بالاعتراف بقيام تركيا بارتكاب مجازر وبإبادة جماعية ضد العرق الأرمني في عهد السلطان الأخير العثمانيين عبد الحميد الثاني، وتكرار الاتهام ذاته بشأن العرب بغير حساسيات رسمية لدى السلطات التركية.



سليمان عبدالمالك
الإنتاج العربي ترك
الساحة للمتلصين
لترفيف الوعي

ولجأ فريق المسلسل إلى السرية التامة طوال فترة التصوير على غير المعتاد من شركات الإنتاج التي تفضل الإعلان عن بدء التصوير كوسيلة دعائية، إما منح غابية الممثلين تركيزاً أفضل، وأبعدهم عن المعارك الكلامية الدائرة حالياً على وسائل التواصل الاجتماعي حول توصيف العثمانيين كقاتلين أم غزاة.

ويقول المؤلف عبدالمالك، إن مصر شهدت في العصر المملوكي نهضة في الإنشاء والتعمير ببناء الجوامع والمدارس والحمامات الشعبية والقلاع، على عكس الحكم العثماني الذي فرغ القاهرة من أفضل العمال والحرفيين في نحو 53 حرفة بعد نقلهم إلى إسطنبول لتوطين صناعاتهم بها.

وأنقرة، أثيرت قبل عام، ضجة مع تغيير السلطات المحلية بالقاهرة اسم شارع سليم الأول استجابة لأبحاث تاريخية تعتبر صاحبه مستعمراً قتل الآلاف من المصريين ربما بالمدافع ونهب قصور المماليك بلا رحمة.

أحمد بكر في البناء الدرامي للشخصيات، ووضع تصورات عن المعارك، وتمت كتابة المسلسل على مراحل، بداية من البناء الدرامي والمشاهد وتدقيق الحوار بلغة عربية تزامنه مع الجدل تزامنه مع اعتماد مجلس النواب الأميركي بأغلبية ساحقة لقرار يقضي بالاعتراف بقيام تركيا بارتكاب مجازر وبإبادة جماعية ضد العرق الأرمني في عهد السلطان الأخير العثمانيين عبد الحميد الثاني، وتكرار الاتهام ذاته بشأن العرب بغير حساسيات رسمية لدى السلطات التركية.

ولا تعتمد الكتابة التاريخية على تسجيل الأحداث فقط، فهناك قراءة بين السطور وتخييلات عن الأمور التي لم يتم التطرق إليها، مثل العلاقات بين الشخصيات والصراع في ما بينها، وإشكالياتها تنبع من التعبير عن الواقعة الواحدة بصور متباينة من أطرافها، فربوة المهزوم تختلف عن المنتصر حتى بات دارجا أن التاريخ يكتبه الأقوياء.

وتحتاج هذه الأعمال إلى إنتاج كبير بأعداد ضخمة من الممثلين والمجموعات «كومبارس»، وتقدير تكلفة «ممالك النار» الإنتاجية بنحو 40 مليون دولار مع رغبة صناعه في إحداث نقلة بصناعة الدراما، فعدد حلقاته لا يزيد على 14 حلقة استغرقت ستة أشهر في كتابتها، وجلسات تصوير على مدار 8 أشهر لانتهاؤها منها.

صراع متجدد

سهلت التقنيات الحديثة في المعارك من مهمة إنتاج الأعمال التاريخية وقللت التكلفة، فمسلسل «ملوك الطوائف» تطلب من المخرج حاتم علي جلسات تصوير استمرت أكثر من 300 يوم بين عامي 2010 و2012 لإنجاز معاركه والوصول إلى شكله النهائي. وركز العمل أيضاً على المجازر وأعمال السلب والنهب التي قامت بها قوات الانتكشارية (طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين) بحق أهل الشام، ما

من المبالغت والوقائع المشكوك فيها، واعتمد بشكل أساسي على موسوعة «بدائع الزهور» في وقائع الدهور» للمؤرخ المصري محمد بن إياس المكتوبة في ستة مجلدات، وكتاب «انفصال دولة الأوان واتصال دولة بني عثمان» للمؤرخ ابن زنيل الرمال، المعروف أكثر باسم «واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني». ويشبه «بدائع الزهور» اليوميات، وكتابه عايش مجموعة من أشهر المؤرخين، مثل المقرئزي، وعرف الكثير عن كواليس حكمهم بحكم علاقة والده بالأمرام وموظفي الدولة، أما كتاب ابن زنيل الرمال فأشبهه بالسيرة الشعبية المكتوبة بالعامية وتتسم بقدر كبير من الحيادية، ولم يقترب مؤلفها من دائرة الحكم ولم يمارس السياسة.

كما يثير ابن زنيل في كتاباته صراعاً دينياً من نوع خاص حول مشروعية السلاح في الصراع العثماني - المملوكي، فالمماليك استنكروا رميهم بالبنادق والمدافع وهم مسلمون يشهدون بالوحدانية مثل الأتراك، ورفضوا في الوقت ذاته استعمار البنادق وفضلوا السيوف بزعم أنها تتماشى مع الشرع. أكد محمد سليمان عبدالمالك في حوار مع «العرب»، أن مسلسل «ممالك النار» لم يعتمد على الورش بمفهومها المعيب الحالي بتقسيم عدد الحلقات على الكتاب ما يخلق تناقراً في الأحداث، وتبني مفهوم «غرفة الكتابة» التي تضم جلسات عصفي ذهني ومساعدين كل منهم يؤدي دوراً محدد.

واستعان العمل بالشاعر أحمد ندا في مراجعة الحوار للوصول إلى شكل يناسب طبيعة الحقبة التاريخية وتدقيق الأحداث الدرامية، والباحثان صبري الدالي وحسام الهلالي في التدقيق والمراجعة التاريخية، والكاتب



دراما مغايرة للمعتاد

عنها درامياً بداية من التاريخ الفرعوني وحتى العصر الحديث، والتي يجب أن يلتفت إليها المؤلفون ويعيدون تقديمها. ولجأ المؤلف المصري إلى مراجعين للتاريخ للتأكد من خلو السيناريو

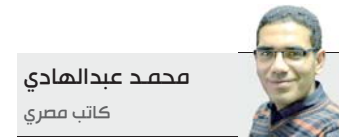
المخرج البريطاني بيتر ويبر، الذي استعان بفريق متعدد الجنسيات في صناعة الديكور والملابس والمكياج من إيطاليا وكولومبيا وأستراليا. ويشير مؤلف العمل، الذي يعتبر المسلسل أول أعماله الدرامية التاريخية، إلى أن إقبال المشاهد العربي على الدراما التركية سببه غياب البديل، والخطوة تتزايد في ظل عزوف الأجيال الجديدة عن المشاهدة، أو في أفضل الحالات استيقاظ معارفهم من الدراما التلفزيونية، ما يتطلب عدم تركهم لعبة في أيدي الآخرين الذين يترقبون وعيهم.

ويتوقع أن يثير العمل ضجة أكبر بعد عرض حلقاته الأولى، فحال نجاحه جماهيرياً سيفتح شهية المنتجين العرب على تبني المزيد من الأعمال الدرامية التاريخية، ما يهدد المعادلة التي اعتمد عليها الأتراك في الغزو الفني للمنطقة العربية، والعائد المالي الكبير من تسويق أعمالهم والذي يقدر بنحو 350 مليون دولار.

ويؤكد محمد سليمان عبدالمالك لـ«العرب»، أن «ممالك النار» واجه حالة من التريص بعد عرض المقاطع الترويجية له من قبل «دراويش العثمانية والحاليين بعودة دولة الخلافة في سلوك متوقع، فالملاعب ظل خالياً من المنافسين للدراما التركية منذ سنوات ولا يريدون أن يشاركهم فيه أحد».

ورسم مسلسل «حريم السلطان» للسلطان العثماني سليمان القانوني تحيلاً أبعد بكثير عن حياته الخاصة، بتقديم صورة مثالية للدولة العثمانية التي استمرت أربعة قرون، في محاولة لإعادة تسويق الخلافة عربياً، وبالفعل خلق حينها لها عند البعض بعد تقديمها كدولة قوية تدافع عن الإسلام وينصاع لها العالم. ويقدم «ممالك النار» المواصفات البصرية اللازمة للمنافسة بمؤثرات مبهرة ومعارك ضخمة وشخصيات تاريخية مركبة، ساهم في صنعها

يمثل مسلسل «ممالك النار» محاولة عربية لمواجهة توغل الدراما التركية واستتارها بساحة الأعمال التاريخية دون مناقسة، ويتضمن العمل قراءة غير تقليدية للأحداث الزمنية، يكملها إيهار بصري متميز يقف خلفه فريق عمل أجنبي محترف.



محمد عبدالهادي
كاتب مصري

أثار المسلسل التاريخي العربي «ممالك النار» الذي تبدأ قناة أم.بي.سي وشبكة نتفليكس عرضه بالتزامن في 17 نوفمبر الحالي، الجدل بمجرد طرح الفيديو الترويجي (البرومو) الخاص به الذي يظهر قراءة مغايرة للمتداول حول الدولة العثمانية وانتصاراتها والأوضاع الإنسانية للشعوب التي خضعت لها.

ويقول كاتب سيناريو المسلسل محمد سليمان عبدالمالك في حديثه مع «العرب»، إن السنوات الأخيرة شهدت غزواً ثقافياً تركيا من بوابة الدراما الجيدة التي روجت لوجهة نظر أطراف متاسلمة لا تخلو من تزييف وقراءة متحيزة تعكس وجهة نظر مقدمها وتخدم مصالحه.

وتعتبر الدراما التاريخية مصدراً أساسياً للمعرفة، ما يجعلها تحمل بين أحشائها خطورة حال توظيفها لأغراض سياسية أو حزبية تتلاعب بسياقات الأحداث السابقة لتغيب الذاكرة الآتية، فعقل الجمهور يربط ميكانيكياً الماضي وشخصياته مع قناعاته حول الحاضر.

ويضم مسلسل «ممالك النار» مجموعة من الممثلين العرب الكبار مثل، خالد النوي ورشيد عساف ومنى واصف وكندة حنا وعبدالمعتمد عماد وورنا شمس وعاكف نجم وياسين بن قمر، وهو من إنتاج شركة «جينو ميديا» التي يرأسها المنتج الإماراتي ياسر حارب، وتم تصويره في تونس.

ويقول المؤلف المصري لـ«العرب»، إن مسلسل «ممالك النار» في معركة شاقة لبناء وعي حقيقي للمواطن العربي نحو تراثه وماضيه، ومواجهة تسويق الدراما التركية للشخصيات العثمانية بصورة مالتكية تخالف الحقيقة، ف«الفتح العثماني» لم يكن إلا غزواً واحتلالاً تضمن مجازر ارتكبتها القوات الغازية في حق الشعوب العربية التي خضعت لولايتها.

ويرى أن كتاب الدراما العربية اتبعوا منطق السلبية إزاء التمدد الفني التركي الذي لا ينكر أحد أنه جيد على مستوى الصناعة، وحينما انتبهوا للمخاطر اقتصر سلوكهم على المطاوعة فقط، رغم أن معركة الوعي لا يمكن مواجهتها إلا بالوسيلة ذاتها فـ«لا يقل الحديد إلا الحديد».

تصحيح للمغالطات

تتضمن المسلسلات التركية مثل «قيامه أرتغرل»، الذي أثنى عليه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ووزار مناطق تصويره، نظرة استعلائية بعدما قدم قبيلة «القاي» التركية وحدها، كمدافعة عن المسلمين إزاء الحملات الصليبية والتترية نون ذكر للمجهود الحربي للعرب مع صلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قطز.

ويؤكد محمد سليمان عبدالمالك لـ«العرب»، أن «ممالك النار» واجه حالة من التريص بعد عرض المقاطع الترويجية له من قبل «دراويش العثمانية والحاليين بعودة دولة الخلافة في سلوك متوقع، فالملاعب ظل خالياً من المنافسين للدراما التركية منذ سنوات ولا يريدون أن يشاركهم فيه أحد».

ورسم مسلسل «حريم السلطان» للسلطان العثماني سليمان القانوني تحيلاً أبعد بكثير عن حياته الخاصة، بتقديم صورة مثالية للدولة العثمانية التي استمرت أربعة قرون، في محاولة لإعادة تسويق الخلافة عربياً، وبالفعل خلق حينها لها عند البعض بعد تقديمها كدولة قوية تدافع عن الإسلام وينصاع لها العالم.

ويقدم «ممالك النار» المواصفات البصرية اللازمة للمنافسة بمؤثرات مبهرة ومعارك ضخمة وشخصيات تاريخية مركبة، ساهم في صنعها